وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

الجزء الخامس

محفوظة
جميع الحقوق

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026
ISBN: 9789922778365

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/ ٢/ ٢٠٢٥ : كربلاء، العراق).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) - الطبعة الأولى - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ.
٥ مجلد ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - في القرآن - مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - أثره في تفسير القرآن وعلومه- مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) - دراسة.
٤. الإسلام والسياسة - مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) - مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع - مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان.
تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239،3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والأدوات/ مؤتمر . ط١- كربلاء: دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الخامس، (٥٨٠ صفحة)، ٢٤ سم.
١.الإمام الحسين بن علي عليهما السلام - الإمام الثالث- مؤتمرات .
م. العنوان.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٢٠٤٥) - لسنة ٢٠٢٦م

الإخراج الفني: أمجد حامد الفتلاوي

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين علي القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة

بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٢٠٢٥/٢/٦)

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Directorate

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم التنسيق والتعاون العلمي

العدد: ب ت/ ١٢٥٤
التاريخ: ٢٠٢٥/١/٢٩

جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارةً الى كتابكم ذي العدد (ع/ش.ع/ ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرفقه الاوليات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (**أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين – قراءة في المنهج والادوات**) والمزمع انعقاده للمدة (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) ، وبالنظر لاستيفائكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعمامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٢/٥٣٥٩) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر أعلاه.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ١ /٢٩

نسخة منه الى//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاوليات.

م.م. مروه ١/٢٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين...

خلق الله تعالى أمثلةً للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجَّته في أرضه التي لا تخلو من مثالٍ لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثَّل أعلاها نبيُّنا محمَّدﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمَّن يليه في هذه المرتبة فلا بدَّ من الاستعانةِ بخطٍّ شروعٍ متَّفقٍ عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدَّة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتَّفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبيِّ محمَّدﷺ لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍعليه السلام: ((عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوريّ (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدُّدٍ - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمَّا في مصادر أهل البيتعليهم السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متَّفقٌ على صحَّته ونسبته إلى رسول اللهﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدَّم أُقيم هذا المؤتمر العلميّ الدَّوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوَّنات المسلمين عن الأثر القرآني لأمير المؤمنينعليه السلام، وبيان ما له من علومٍ قرآنيَّة تفرَّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور آنفًا.

وقد حدَّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيَّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام، والبرهنة العمليَّة على كماليَّة القرآن الكريم بشموله لكلِّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمِّ مشكلاتها في ضوء ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثرٍ قرآنيٍّ امتدَّ ليشمل الحاجات الإنسانيَّة على مختلف العصور، مركِّزًا في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشته، ومن هنا فإنَّ المؤتمر يركِّز على الأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيرًا وعلومًا، ومقاربته على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيَّة في التخصصات الإنسانيَّة والعلميَّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه حلًّا لكلِّ التقاطعات، والمرجعيَّة الأصيلة التي يمكن أن ننتهي إليها بمعيَّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستِّين بحثًا في شتَّى التخصُّصات المعرفيَّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمِّ المسارات التي حُدِّدت بشأنِ أقامته، وما هذه الوقائع إلَّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيَّةً من لدن الباحثين والمتخصِّصين والمتابعين بشكلٍ عام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين/ معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم

م.د. عماد طالب موسى/ مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية

أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة/ مدير تحرير مجلة هدي التقلين

م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج/ مدقق لغوي

م.د. عمار عبد العباس عزيز/ مدقق لغوي

أمجد حامد شاكر/ مدقق فني

الفهرس

التوظيفُ القرآنيُّ لأميرِ المؤمنينَ عليه السلام في الجوانبِ التربويّةِ والتعليميّةِ ١١

م.م علي حسين عجّة

الأثرُ القرآني لفلسفةِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام في التربيةِ -تربية المراهقِ أنموذجًا..... ٢٧

م.م صبيحة حمد عودة

أثرُ تجسيدِ المبادئ العلويّة في التشريعاتِ المعاصرةِ-دراسة قانونيّة وواقعيّة ٥٩

م.م. عزيزة خميس التميمي/ د. آمال علي الموسوي

قراءةٌ في الأثر القرآنيِّ للإمامِ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في المدوّناتِ الإسلاميّةِ - دراسةٌ تاريخيّةٌ تفسيريّةٌ..... ٨٧

م .م محمّد عاجل عطية

الدلالةُ القرآنيّة في قصيدة (والموت يطويها) للإمام علي عليه السلام ١١٣

م.م سارة علي العبوديّ

دورُ الزكاةِ في تحقيقِ التكافلِ الاجتماعيِّ في مرويَّاتِ الإمامِ عليّ عليه السلام ١٣٥

م.م. ضحى فليح عبد الموسوي

أثرُ توظيفِ النصِّ القرآنيِّ في حلِّ النزاعاتِ الاجتماعيّةِ عندَ الإمامِ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ١٥٧

م.م. ناجح جادر خلف

ردُّ الإمامِ عليّ عليه السلام على دعوى الزنادقةِ بتناقضِ القرآنِ الكريمِ واختلافِه دراسةٌ حجاجيّةٌ.....١٨٩

م. م. كوثر فليّح عبد الموسويّ

المرويّاتُ التفسيريّة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في حكم الطلاق..... ٢١٣

م.م. هدى محمّد رضا

معاملة الآخر في حكومة الإمام علي عليه السلام بحسب المنظور القرآنيّ..... ٢٣٧

م. أحمد راضي جبر

السلوكُ التهذيبيُّ في الأثرِ القرآنيِّ (نهج البلاغة أنموذجًا) دراسةٌ تطبيقيّةٌ على موظّفي دائرةِ صحّةِ بابل للعام ٢٠٢٤..... ٢٧١

أ.حسنين صادق عبكه/ ضي عبد الحسين مكي بقلي

عَليّ عليه السلام.. قَيِّمُ القرآن..... ٣٠٩

الشيخ محمد مصطفى مصري العاملي

المتطلباتُ الوظيفيّة والرقابة عليها بين عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر والتنظيم القانونيّ العراقيّ..... ٣٤٩

الباحث: قيصر حمد مؤنس

أثر أمير المؤمنين عليه السلام القرآني في التخصصات العلميّة والطبيّة..... ٣٨٧

الباحثة: هدى صدام ثجيل الجيزاني

عِلمُ الوراثةِ التغذويّة وتغييرُ الجيناتِ في كلامِ الإمامِ عليّ عليه السلام..... ٤٢١

الباحثة طيبة فليّح عبد الموسويّ

Contents

Quranic Eloquence in the Sermons of Imam Ali (Peace be upon him): A Study in Linguistic and Rhetorical Artistry..... 2

Pro .Dr.Fatima Raheem Abdul Hussein

Imam Ali، peace be upon him، the Gate to the city of knowledge of God's Messenger peace and blessings be upon him and his family..... 32

MR. SYED MOHAMMED BOKRETA

The Power of the Discourse of the Imam Ali Ibn Abi Talib in Human Sciences: A Critical Study 60

By: Assist Professor Dr. Nagham Ja'far Hussein

The Quranic Impact on Imam Ali's Words Regarding Piety with Special Reference to his Commandment to Malik al Ashtar: An Intertextual Approach 94

Ammar Shamil Kadhim Al-Khafaji، PhD

Interpretation of the Reality of Death in the Quran from the Perspective of Imam Ali (A) in Nahj al-Balaghah..... 116

By Dr. Sayid Morteza Farizani

معاملة الآخر في حكومة الإمام علي عليه السلام بحسب المنظور القرآنيّ

م. أحمد راضي جبر
مديرية تربية بابل

الملخص:

تعالت الأصوات في هذه الأيّام والأقلام المأجورة لتشويه صورة الإسلام من طريق إبراز صورة مزيّفة جعلوها عنوانًا للدين الحنيف، فقد وسموا الشريعة السمحاء وصاحبها صلى الله عليه وآله بالإرهاب، وحبّه لسفك الدماء، وهذا ما يخالف صريح القرآن الكريم.

من هنا ارتأيت أنْ أكتبَ أوراقًا تبيِّنُ إنسانيّة الإسلام ورأفته وعدله وتسامحه المتمثّلة بفتى الإسلام الخالد، وترجمان القرآن وعدله أمير المؤمنين عليه السلام.

من النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث :

١-حاول البحث تسليط الضوء على موقف الإمام عليه السلام من السيّدة عائشة، فقد عاملها بما يناسب مكانتها كزوج للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ولذلك ما إن وضعت حرب الجمل أوزارها حتّى حملها إلى المدينة المنورة تتوسّط جملة من النساء، صونا لعرض النبيّ الأكرم .

٢-موقفه عليه السلام الإنسانيّ حتّى مع أعدائه في حرب صفين، فعلى الرغم من منع الأمويّين الماء عن الجيش العلويّ، إلّا أنّه استولى على الفرات، وأمر جيشه بالسماح للعدو أن يستفيد من الماء .

٣-وبرَّز البحثُ تعامله عليه السلام مع قاتله أشقى الآخرين ابن ملجم، وكيف أنّه طيَّب مأكله ومنامه وسمّاه أسيرًا، وأمر بنيه أن يحاكموه طبقًا للشريعة الإسلاميّة التي تنصّ على العفو أو القصاص.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي عليه السلام، المنظور القرآنيّ، معاملة الآخر.

Abstract:

Voices have risen in these days and paid pens to distort the image of Islam by displaying a false image، which they made a title for the true religion.

From here، I decided to write papers showing the humanity، compassion، justice and tolerance of Islam، exemplified by the immortal youth of Islam، the translator of the Qur'an and the justice of the Commander of the Faithful (peace be upon him).

Among the findings of this research:

1. The research tried to shed light on the position of the Imam (peace be upon him) towards Lady Aisha، for he treated her in a manner that suits her position as the husband of the Noble Messenger (may God bless him and his family)، and therefore، as soon as the Camel War laid down its burdens، he carried her to Medina، in the midst of a group of women، to protect her. To display the Noble Prophet.

2. His (peace be upon him) humanitarian position even with his enemies in the Siffin war، despite the Umayyads preventing water from the upper army، but he seized the Euphrates، and ordered his army to allow the enemy to benefit from the water.

3. The research highlighted his (peace be upon him) interaction with his murderer، the most wretched of others، Ibn Muljam، and how he fined his food and sleep and called him a prisoner، and ordered his sons to sue him according to Islamic law، which stipulates pardon or retribution.

Keywords: Imam Ali (PBUH)، Quranic Perspective، Treatment of the Other.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الأطيبين الأطهرين، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى

أمّا بعدُ: فقد تعالت الأصوات في هذه الأيّام والأقلام المأجورة لتشويه صورة الإسلام من طريق إبراز صورة مزيّفة جعلوها عنوانًا للدين الحنيف، فقد وسموا الشريعة السمحاء وصاحبها صلى الله عليه وآله بالإرهاب، وحبّه لسفك الدماء، وهذا ما يخالف صريح القرآن الكريم الذي وصف النبيّ الكريم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيم﴾ [القلم:٤].

من هنا ارتأيت أنْ أكتبَ أوراقًا تبيِّنُ إنسانيّة الإسلام ورأفته وعدله وتسامحه المتمثّلة بفتى الإسلام الخالد، وترجمان القرآن وعدله أمير المؤمنين عليه السلام .

فكان هذا البحث الذي قسَّمته على مبحثين، سلطت الضوء في الأوّل على تعامله عليه السلام مع أهل الذمّة، وتناولت في الآخر، مواقفه مع مخالفيه، إبّان خلافته الظاهريّة، وسبق هذين المبحثين مقدّمة وتمهيد، وتلاهما جريدة بأهمّ نتائج البحث، وقائمة المصادر والمراجع التي استقيت منها مادّة بحثي .

أسأل الله تعالى أنْ يوفّقنا لما فيه الخير والصلاح، وأن نكون قد قدَّمنا ما ينفعنا في الدارين، وأن يعفو عمّا فينا من زلّات وهنات، إنّه سميع مجيب الدعاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على محمّد وآله الطاهرين .

التمهيد

بيَّن القرآن الكريم الغاية التي بُعِث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من أجلها بقوله تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمين﴾[الأنبياء: ١٠٧]، وتتضمّن هذه الآية المباركة مضامين عالية، فقد بيَّنت أنّ هناك طرفين، طرفًا أعلى وهو الله تعالى، وطرفًا أدنى فقير ومحتاج إلى الأوّل بكلّ شيءٍ، يحتاج إلى ما ينظمُ أموره ويلبّي حاجاته، فهم حيارى يذهبون ذات اليمين وتجرّهم ذات الشمال يريدون حلولًا لكلّ مشاكلهم بأنواعها المختلفة، فمنَّ الله تعالى بأن بعث إليهم من يقضي حاجاتهم، وينظّم شؤونهم، وهو الرسول الأكرم .

وقد استعمل القرآن في هذه الآية أسلوب الحصر، وهو من الأساليب البليغة في العربيّة، إذ حُصِرت الغاية من بعث النبيّ الخاتم بالرحمة، ومن بديع القول (للعالمين)؛ فإنّها تشمل كلَّ ما خلق الله، أي تشمل المؤمن والكافر، ولكنّ الكافر قد حَرَم نفسه من الفيض الإلهيّ، فمثل هذه الرحمة مثل ((أنْ يفجّرَ اللهُ عينا غديقة، فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا، ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا، فالعين المفجّرة في نفسها، نعمة من الله ورحمة للفريقين، ولكنّ الكسلان محنة على نفسه؛ حيث حرمها ما ينفعها))[1] .

وهذه الآية المباركة على قصرها قد اشتملت على معانٍ كثيرة وكبيرة، إذ أفصحت عن ((الرسول، ومرسله، والمرسَل إليهم، والرسالة، وأوصاف هؤلاء الأربعة، مع إفادة عموم الأحوال، واستغراق المرسل إليهم، وخصوصيّة الحصر، وتنكير (رحمة) للتعظيم، إذ لا مقتضى لإيثار التنكير في هذا المقام غير إرادة التعظيم، وإلا لقيل: إلّا لنرحم العالمين، أو إلّا أنّك الرحمة للعالمين. وليس التنكير للإفراد

(١) الكشاف ، الزمخشري: ٤/ ٢٦٧ .

قطعًا، لظهور أنّ المراد جنس الرحمة وتنكير الجنس هو الذي يعرض له قصد إرادة التعظيم))[1].

وهذه الغاية التي برَّزتها هذه الآية الكريمة، طبَّقها النبيّ الأكرم في حياته، فقد دخل الناس أفواجًا في دين الله لا بقوّة السيف أو القهر، وإنّما بما استشعروه من اللطف الإلهيّ بهم المتمثّل بسيرة الخاتم صلى الله عليه وآله، وقد عبَّرت عنها الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَريصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنينَ رَؤُفٌ رَحيم﴾[التوبة:١٢٨].

إنَّ غاية الرسالة الإسلاميّة – إذن – الرحمة للعباد كلّهم، وإخراجهم من الظلام بكلّ أنواعه، إلى نور الإيمان والعلم والمعرفة، ولتحقيق آدميّة الإنسان، وليكون سيّد مخلوقات الله كلّها، فمَن شاء أن يُرَقي نفسه أعلى من الملائكة فليؤمن بهذه الرسالة، ومن رضيَ لنفسه أن تظلّ بوحل الجهل والظلم فله ما شاء، إذ ﴿لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[البقرة: ٢٥٦].

والسؤال الذي سيُجيب عنه بحثنا هذا: كيف تعامل الإسلام مع مَن لمْ يؤمن به، واصطلحنا عليه بـ(الآخر) ؟ سوف نجيب عن هذا السؤال ببيان موقف الإسلام من الآخر عمليًّا من سيرة الإمام عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) فتى الإسلام الخالد، الذي كان المثال العمليّ للمفاهيم الإسلاميّة كلّها.

عليٌّ عليه السلام الذي تولّت اليد الإلهيّة العناية به وتربيته منذ ولادته، وأعدّته إعدادًا يتناسب وحجم المهمّة الملقاة على عاتقه، يقول عليه السلام: ((وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اَللَّهِ بِالْقَرَابَةِ اَلْقَرِيبَةِ وَاَلْمَنْزِلَةِ اَلْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَ يُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَ يُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ اَلشَّيْءَ

(١) التحرير والتنوير ، ابن عاشور: ٩ / ٢١٩ .

ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَما وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ولاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ))[١]، فهذا النصّ يبينِّ تربية أمير المؤمنين على يد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، ولا حاجة إلى التوسّع في هذا الأمر؛ فحالي فيه حال الناقل تمرًا إلى هجر، وإنّما أريد أن أسلّط الضوء على أنَّ عليًّا عليه السلام هو من يمثّل الإسلام كما نزل تمثيلًا لا شبهة فيه ولا زلل، فهو القرآن الناطق والمترجم العمليّ لكتاب الله المحصور بين الدفّتين .

المبحث الأوّل : معاملة الآخر الذمّيّ

الذمّيّ النسب إلى الذمّة، وهي بمعنى ((العهدُ، الذمّة و الذمام، بمعني العهد و الأمان، و أهل الذمّة سُمُّوا بذلك؛ لأنّهم دخلوا في ضمان المسلمين و عهدهم))[٢]، وهو مصطلح يطلق على غير المسلمين الذين يدينون بدياناتٍ غير الإسلام ويسكنون في بلاد الإسلام، ومن دلالات (الذمّة) الأمان، فكأنّ غير المسلمين الذي عاهدهم ويعيش بينهم في أمن وأمان وفي كفالتهم[٣]، وقد فصَّل الفقهاء أحكامًا كثيرة تنظّم حياة أهل الذمّة في الإسلام، لا يسع المقام للحديث عنها .

وقد تعامل الإسلام معهم معاملةً تُفصح عن مدى الرحمة الإلهيّة بالبشر جميعًا، أمّا من لم يُوفَّقْ للإيمان بهذا الدين العظيم فقد حُرِمَ خير الدارين، ولكن يبقى فردًا من أفراد المجتمع وعلى المسلمين التعامل معه بكلّ إنسانيةٍ، وخلقٍ بذلك أمر الله تعالى، وقد طبّق أمير المؤمنين عليه السلام ذلك عمليًّا في حكومته المباركة؛ فالناس عنده سواء، ومن ذلك ما ورد في عهده لمالك الأشتر(رضوان الله عليه) : ((**وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة والمحبّة لهم، ولا تكوننّ عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم، فإنّهم**

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ١/ ١٣٩ .
(٢) مجمع البحرين: ٥٢٩ .
(٣) ينظر: تاج العروس ، فصل الذال: ٣/ ٢٤٥ .

صنفان، إمّا أخٌ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق))[١]، فالإمام في هذا العهد يوصي عامله على مصر بخدمة الرعيّة كلّها، بقطع النظر عن هويّتهم، فالخلق كلّهم إخوة لك، إمّا تتحقّق هذه الأخوة بالدين، أو نتشارك بأخوّة الدم. ولذلك وصّاه بأن ينظر إلى الرعية بعين (الرحمة والمحبة) قبل عقوبتهم أو محاسبتهم؛ لأنّهم بشرٌ يصدر منهم الخطأ أو الزلل، ولعمري هذه نظرة الإسلام في كيفية التعامل مع الناس، ولذلك يحذّر أمير المؤمنين عامله بألّا يظلمَ العباد أو يجور عليهم، فإنّ **((من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومَن خاصمه الله أدحض حجّته، وكان لله حربًا حتّى ينزعَ أو يتوبَ))**[٢] .

ولا تجد في هذا العهد أو سواه، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يفرّق في المعاملة بين الناس بحسب معتقدهم أو جنسهم أو عرقهم، امتثالًا لقول الله تعالى: ﴿يا أيُّها الناسُ إنَّا خلقْناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لِتعارفوا إنَّ أكرمَكم عندَ اللهِ أتقاكُمْ إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ﴾[الحجرات: ١٣]، فالناس في المجتمع الإسلاميّ متساوون بكلّ شيءٍ، وأمّا المعتقد فالله حسيب عليه يوم الورود، ومن لطيف القول وبديعه قوله تعالى: ﴿إنَّ أكرمَكم عندَ اللهِ أتقاكُمْ﴾[الحجرات: ١٣]، أي الذي يحقّ له المفاضلة ووضع الناس في درجات هو الحقّ تبارك وتعالى لا غيره، فأهل الديانات الأخرى يعيشون في أمن وأمان ما لم يعتدوا على الناس، فالضابط في إقامة العقوبات على الناس في الحكومة الإسلاميّة هو الاعتداء على الآخرين بقطع النظر عن عقائدهم، فللعامّة حقوق على الحاكم، ومن ضمنهم غير المسلمين، فمن حقوقهم ((أن تقبل منهم ما قَبِل تعالى منهم، و لا تظلمهم ما وفّوا اللّه عزّ و جلّ بعهده))[٣].

(١) نهج البلاغة ، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية د. صبحي الصالح: ٥٩٠ .
(٢) م.ن: ٥٩٢ .
(٣) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ١/ ٤٣٩ .

فالإمام عليه السلام كان يتعامل معهم كمواطنين من الدرجة الأولى بالمصطلح الحديث، فقد كتب إلى أحد ولاته كتابًا جاء فيه ((أمّا بعد فإنّ رجالًا من أهل الذمّة من عملك ذكروا نهرًا في أرضهم قد عفى و ادّفن، و فيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أنت و هم و أعمر و أصلح النهر، فلعمري لئن يعمروا أحبّ إلينا من أن يخرجوا و أن يعجزوا أو يقصّروا في واجب من صلاح البلاد))[1]، فهو عليه السلام يفرح بأن يشترك غير المسلمين في عمارة البلاد، أمّا الإيمان بالله تبارك وتعالى فهو عائد إليهم تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿وقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شاءَ فَلْيُؤْمِن ومَن شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف: ٢٩]، فكان يوصي ولاته بأن يطبّقوا الشريعة السمحاء على الناس، حتّى يسود العدل والرحمة بين الخلق، فممّا جاء في وصيّته لبعض ولاته: ((يا معقل بن قيس اتّق اللّه ما استطعت، فانّه وصيّة اللّه للمؤمنين لا تبغ على أهل القبلة ولا تظلم على أهل الذّمة ولا تتكبّر، فإنّ اللّه لا يحبّ المتكبّرين))[2] .

وقد بلغت الرحمة العلويّة أن جعل للذمّي المحتاج راتبًا من بيت مال المسلمين، فقد ورد أنّه ((مرّ شيخ مكفوف يسأل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما هذا؟ قالوا يا أمير المؤمنين نصرانيّ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : استعملتموه، فإذا كبر وعجز منعتموه، أنفقوا عليه من بيت المال))[3] .

وفي هذه الرواية الشريفة نكتة لغويّة لطيفة في قوله: (ما هذا) ومن المعلوم أنّ الاستفهام عن العاقل يُستعمل الاسم (مَن)، فما العلّة التي جعلت أمير الفصاحة يستفهم بـ(ما) الدالّ على غير العاقل في هذا الموضع ؟!

---

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ١/ ٥٦٧ .

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، حبيب الله الخوئي: ٢/ ٢٣٦ .

(٣) وسائل الشيعة ، الحر العاملي: ١١ / ٤٩ .

الذي نراه أنّه عليه السلام لم يكن مستفهِمًا عن شخص السائل، وإنّما تعجّب من حالة الاستعطاء في دولته، وكأنّه يقول: ما هذا العمل المسيء للإنسانيّة؟ رجل كبير وأعمى يسأل الناس، ولذلك استفهم بـ(ما) بدلًا من (مَن) ليكون الكلام أبلغ وأشدّ تأثيرًا في المخاطب.

فمن الغايات التي ينشدها الإسلام المساواة والعدالة بين الخلق أيًّا كانوا، فلم ينتشر ويسود بقاع المعمورة بقوّة السيف، وإنّما بالخلق الحسن ومخاطبته العقل، فقارئ القرآن الكريم يجد أنَّه ((يُخصّص مساحة وافية من آياته الكريمة للتحاور مع الرأي الآخر، إنّما ليكون مدرسة للمسلمين والبشريّة جمعاء، يتتلمذون من خلاله على أسلوب الحوار والتعامل الفكريّ والعقائديّ بعيدًا عن تبادل البطش والإرهاب))[1]، وخير من يطبّق هذه التعليمات عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام ، فممّا روي عنه أنّه كان يقصد ((الكوفة فصاحب رجلًا ذميًّا فقال له الذمّي: أين تريد يا عبد الله؟ قال: أريد الكوفة، فلمّا عدل الطريق بالذمّي عدل معه علي عليه السلام ، فقال له الذمّي: أليس زعمت تريد الكوفة؟ قال: بلى، فقال له الذميّ: فقد تركت الطريق، فقال عليه السلام : قد علمت، فقال له: فلِمَ عدلت معي وقد علمت ذلك؟ فقال له علي عليه السلام : هذا مِن تمام الصُّحبةِ أَن يُشيِّعَ الرّجلُ صاحِبهُ هُنيئةً إذا فارَقَهُ وَكَذلِكَ أَمرنا نَبيُّنا، فقال له الذميّ: هكذا أمركم نبيّكم؟ فقال: نعم، فقال له الذمّي: لا جرم إنّما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، وأنا أشهد على دينك، فرجع الذمّي مع الإمام عليّ عليه السلام ، فلمّا عرفه أسلم))[2] .

المبحث الثاني : معاملته (عليه السلام) الآخر المخالف :

سيسلط البحث هنا – بحول الله – على موقفه (صلوات الله عليه) ممَّن

---

(١) التعددية والحوار في الإسلام: ٦٢ .

(٢) سفينة البحار: ٢/ ٦٩٢ .

رفضوا بيعته وخرجوا على سلطانه، وسنبرِّز الغاية التي سعى إلى تحقيقها بواسطة تولّيه كرسي الحكم .

وقبل الخوض في خضم هذا المعترك ينبغي أن نعرف ما المغانم التي كسبها عليه السلام نتيجة تربّعه على عرش الدولة الإسلاميّة سياسيًّا ؟

والحقيقة التي لا ينكرها إلّا جاهل معاند أنّ الخلافة لم تزدْه أيّ شيءٍ، فقد روى ابن أبي الحديد ما يؤيّد هذا المعنى بقوله : ((وروى بكر بن عيسى قال: كان علي عليه السلام يقول: يا أهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي و رحلي وغلامي فلان فأنا خائن، فكانت نفقته تأتيه من غلّته بالمدينة بينبع و كان يطعم الناس منها الخبز و اللحم و يأكل هو الثريد بالزيت))[1] . فلم يكن معتمدًا على عطاء الدولة في معيشته حتّى، بل كان يأكل من أرباح أرض له في الحجاز .

ووصل الأمر أنّه لم يترك إرثًا ماديًّا يُذكَر لأولاده، فهذا الإمام الحسن عليه السلام يقول: ((ما ترك على ظهر الأرض صفراء ولا بيضاء، إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادمًا لأهله))[2] . فلم يكنْ هّمه من الدنيا إلاّ إحقاق الحقّ، وإنصاف المظلوم، وهذه غايته التي سعى إليها وكانت سببًا في قبوله الخلافة الظاهريّة، فقد روى ابن عبّاس قوله: ((دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال عليه السلام : والله لهي أحبّ إلي من إمرتكم إلّا أنْ أقيم حقًا أو أدفع باطلًا))[3] .

والعجيب أنَّ حاكمًا تحت يديه دولة مترامية الأطراف، ويُجبى إليه خراجها،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٠١ .
(٢) شرح أصول الكافي ، المازندراني: ٢٠ / ١٦٨ .
(٣) نهج البلاغة: ٧٥ .

وهو على تلك الحال وبذلك المنصب جالسٌ يُصلحُ نعله، الذي يراه أعلى قيمة من التربع على عرش امبراطورية وصلت حدودها إلى الصين شرقًا، والى المحيط الأطلسيّ غربًا، مع ذلك لم تغرْه هذه الدنيا وزينتها؛ لأنّه يعرف أنّه ملك زائل لا يدوم، وقد اتّخذه وسيلة لإقامة الحقّ ولدفع الباطل . فإذا كانت رؤيته للحكم هذه، فكيف يتعامل مع رعيّته إذن؟

وقد بيَّن عليه السلام تلك المعاملة في عرضه برنامجه الحكومي عند تولّيه الخلافة الظاهرة بعد مقتل عثمان، معرِبًا عن كراهيّته لتولّي هذا الأمر بعدما آلت إليه الأمور، فقَبِل بهذه الخلافة مضطرًّا بعد إجماع المسلمين على بيعته، قال: ((ألا و إنّ اللهَ عالمٌ من فوق سمائه و عرشه أنّي كنت كارهًا للولاية على أمّة محمّد حتّى اجتمع رأيكم على ذلك، لأنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول أيّما والٍ ولي الأمر من بعدي أقيم على حدّ الصراط و نشرت الملائكة صحيفته، فإن كان عادلًا أنجاه الله بعدله، و إن كان جائرًا انتفض به الصراط حتّى تتزايل مفاصله ثمّ يهوى إلى النار فيكون أوّل ما يتّقيها به أنفه و حرّ وجهه، و لكنّي لمَّا اجتمع رأيكم لم يسعني تركككم))[1] .

فهو عليه السلام يصوِّرُ لنا حال الحاكم الظالم يوم القيامة بصورة مهولةٍ مخيفة، تتزايل مفاصله، أي: يرتبك ويختلُّ حتّى لا يسيطر على نفسه، ثمّ يسقط في النار، فأوّل ما يلتقي منها أنفه الذي كان شامخًا ويكبُّ على وجهه في النار . لهذا السبب وغيره من الأسباب التي دفعته إلى أن يزهد في إمرة المسلمين، ولكن من جانبٍ آخر هناك علل أخرى تدفعه إلى سدّة الحكم أبرزها تطبيق الشريعة الإسلاميّة بأصولها على الناس عامّةً، ودفع الظلم ورفعه عنهم، وذلك لمَّا اجتمعوا على إمرته، وطالبوه جهارا بالولاية الظاهريّة .

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: ٧ / ١٧١ .

فلذلك نراه عليه السلام لم يداهنْ أحدًا على حساب الإسلام، فالخلق عنده سواء كأسنان المشط، تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ﴾[الحجرات: ١٣]، وقد دفع عليه السلام ثمنا باهضًا نتيجة تمسُّكه بالتعاليم الإلهيّة .

فأوّل أمرٍ فعله بعد تسنّمه الحكم أنّه استردّ الأموال التي وهبها الخليفة الثالث إلى بعض القوم، وكان عليه السلام مُصِرًّا على هذا الأمر، حتّى قال: ((والله لو وجدته قد تزوّج به النساء، ومُلِّك به الإماء لرددتّه، فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدلُ، فالجور عليه أضيق))[١] .

وإذا أنعمنا النظر في هذا الكلام المبارك لأمير المؤمنين، نستشفّ منه إصراره وعزيمته على تطبيق هذا الأمر، فافتتح كلامه بالقسم، والقسم أعلى مراتب التوكيد، فالقسم: ((جملة يؤكّد بها جملة أخرى كلتاهما خبريّة))[٢] .

فأتى بالقسم الصريح، ومن ثمَّ أتى بمؤكِّدٍ آخر وهو حرف التحقيق (قد) الداخلة على الفعل الماضي (قد تزوج)، والصورة الثالثة للتوكيد في هذا النصّ الشريف (إنَّ) الحرف المشبّه بالفعل الذي يفيد التوكيد، فاستعماله عليه السلام صور متعدّدة للتوكيد في هذا النصّ – على صغره – يستشفّ منه القارئ عناية المتكلّم بالمعنى المراد بيانه للمخاطب .

وقد انتقد موقف الخليفة الثالث بتقريبه عشيرته للحكم، وتوليتهم أمور الرعية بما يخالف حكم الله تعالى، حتّى صاروا ينهبون موارد الدولة الإسلاميّة، فقال في خطبته الشقشقيّة: ((إلى أن قام ثالث القوم نافجًا حضنيه بين نثيله ومعتلفه،

---

(١) نهج البلاغة: ٤٠ .

(٢) شرح جمل الزجاجي: ١/ ٥٤٤ .

وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته))[١]، فقد أرجع مال المسلمين إلى بيتهم، بعدما كان دُولةً بين قلّة من الناس .

وقد قام بهذا العمل في اليوم الثاني من تولّيه الخلافة، فلم يهدأ له بالٌ حتّى أرجع الحقوق المسلوبة إلى مكانها، روى ابن عباس: ((أنّ عليًا خطب ثاني يوم من بيعته في المدينة، فقال: ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان وكلّ ما أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شيء))[٢] .

والعمل الثاني الذي قام به عليه السلام هو التسوية بالعطاء بين المسلمين جميعًا، فلا فرق عنده بين السابقين بالإسلام واللاحقين، ولا فرق بين الرجل والمرأة، ولا الحر والعبد، فكلّهم كأسنان المشط، والذي يؤسف منه حقًا أنّ من المسلمين من جاء إليه عليه السلام يعاتبه على عدله وتسويته بين الناس، فكان جوابه: ((أ تأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن ولّيت عليه، والله ما أطور به ما سمر سمير، وما أمّ نجم في السماء نجما، لو كان المال لي لسويّت بينهم، فكيف وإنّما المال مال الله، ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقّه ولا عند غير أهله إلّا حرمه الله شكرهم، وكان لغيره ودّهم، فإن زلت به النعل يومًا فاحتاج إلى معونتهم فشرّ خدين، وألأم خليل))[٣] .

فعجيبٌ أمر هؤلاء يرون فعلَ عليٍّ عليه السلام وهو الحقّ، بنصّ رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) نهج البلاغة: ٢٨ . والمراد بـ(نافجا حضنيه) رافعا لهما، وهي المنطقة ما بين الإبط والكشح، وهو مثل يضرب للمتكبر، والنثيل الروث وفضلات الدواب، والخضم أكل الشيء الرطب .

(٢) م.ن: ٤٧ .

(٣) م.ن: ٢٤٠ .

((عليّ مع الحقّ، و الحقّ مع عليّ))[1]، والقرآن بين ظهرانيهم يُتلى آناء الليل وأطراف النهار، الذي يؤكّد المساواة والعدالة بين المسلمين، فلمَّا طبَّق عليٌّ آيات القرآن، رأوا ذلك شيئًا عجبًا، فقد تعوّدوا على غير ذلك خلاف سنيّ حكم الثلاثة الأُوَل، حتّى صارت أفعال هؤلاء هي المظهر الحقيقيّ للكتاب والسنّة، فلمّا جاء عليٌّ وعمل على ترجمة كتاب الله تعالى وسنّة الرسول الأكرم، عاتبوه على ذلك الفعل، فأيُّ غربةٍ كان يعيشها الإسلام آنذاك؟ وأيّ معاناةٍ كان يقاسيها عليٌّ عليه السلام؟ لكنّه أثبت قدمه على موقفه هذا، فهو صاحب رسالة فلا يعنيه الكرسي شيئًا، ولا تغرّه الدنيا بمفاتنها كلّها، يريد تطبيق الإسلام المحمّديّ الإلهيّ كما نزل؛ ليخرج الناس من ظلمات الجهل والظلم إلى نور الإيمان والعدل والسعادة .

دفعت أعمال أمير المؤمنين عليه السلام هذه جملةً ممّن تضرّرت مصالحهم إلى الخروج عن سلطانه، وبحجج وأعذار هم أولى بها، فكانت حصيلة أفعال هؤلاء القوم الحروب الثلاثة التي نشبت في خلافته عليه السلام، ولا أريد الخوض في هذه الحروب، وإنّما أسلّط الضوء على معاملته للمعارضين له ومَن شهرَ السيف بوجهه، وهو إمام مفترض الطاعة، فإنّه لم يكن لينظر للأمور بمنظار شخصيّ، وهو القائل: ((ووالله لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلّا عليّ خاصّة؛ التماسا لأجر ذلك وفضله، وزهدًا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه))[2]، من تلك المواقف التي تُفصِح عن عظمة عليٍّ، وترجمته للكتاب الكريم ما يأتي:

---

(١) من لا يحضره الفقيه ، الصدوق: ١/ ٥ . والحديث الشريف أشهر من نار على علم ، رواه جملة كبيرة من علماء المسلمين من الفريقين ، ينظر: بحار الأنوار ، الشيخ المجلسي: ٤٠ / ٢٦ ، والخصال: ٤٩٦/ ٥، والأمالي للصدوق: ١٤٩/ ١٤٦، وبشارة المصطفى: ١٩، وجامع الأخبار: ٥١/ ٥٦ .

(٢) نهج البلاغة: ١١٠ .

١ – موقفه من عائشة:

لا أريد التوسّع بالحديث عن السيدة عائشة، ومواقفها من أمير المؤمنين عليه السلام، وإنّما أريد تسليط الضوء على موقفه منها بعد انتهاء حرب الجمل التي ذهب ضحيّتها آلاف القتلى والجرحى، واختلف الرواة في تحديد هذه الخسائر في صفوف المسلمين، فمنهم مَن أوصلهم إلى عشرين ألفًا، والمُقِلُّ ذهب إلى العشرة آلاف ضحية، ومهما يكن من أمر فالخسارة كبيرة استطاعت أن تخيِّم الحزن واليتم والثكل على بيوتات العراقَين (الكوفة والبصرة) زمنًا طويلًا.

هذه الحرب التي كانت عائشة ممَّن أضرموا نارها، فما موقف عليٍّ عليه السلام من هذه المرأة لمّا أظفره الله بها؟! في رواية المسعوديّ في مروجه، بعد انتهاء موقعة الجمل، وقُتِل مَن قُتِل، ذهب أمير المؤمنين عليه السلام إلى بيت عائشة، ((ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقي أولاده وأولاد إخوته وفتيان أهله من بني هاشم ...، فلمّا بصرت به النسوان صحنَ في وجهه، وقلن: يا قاتل الأحبّة! فقال: لو كنتُ قاتل الأحبّة لقتلت مَن في هذا البيت، وأشار إلى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم، وعبد اللَّه بن الزبير، وعبد اللَّه بن عامر، وغيرهم))[1].

فالرواية تبيِّن أنّه عليه السلام لم يكن راغبًا في سفك الدماء – أيًّا كانت – ، ولم يكن النصر الذي حقّقه في القضاء على الناكثين يعني له شيئًا، وإنّما كان عنوان الرأفة والرحمة، وفي الوقت نفسه لا يسمح أن تنتهك حرمة المسلمين، وأن يكونوا سلعة للوصول إلى تحقيق المنافع الشخصيّة.

فبعد انتهاء هذه الحرب الظالمة، يروي المؤرّخون أنّه عليه السلام جمع القتلى من الطرفين، ((فصلى على القتلى جميعًا من شيعته ومن خصمه، وأذن للناس في دفن

(١) مروج الذهب: ٢/ ٣٧٧.

موتاهم، وجمع الأطراف الكثيرة فاحتفر لها قبرًا كبيرًا ودفنها فيه))[١] . فلم تكن أفعاله ردّةَ فعلٍ على عصيانهم وخروجهم عن طاعته أو يكون منتقمًا منهم، بل عمل بكتاب الله تعالى وسنّة النبيّ الأكرم، فعاقب المسيء على فعله، وأثاب المحسن على إحسانه، أمّا أهل البصرة فسار فيهم ((سيرة الرجل الكريم الذي يقدِر فيعفو، ويملك فيسجح، وكان يقول: سرت في أهل البصرة سيرة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم في أهل مكّة))[٢] .

وأمّا مواقفه ممَّن بقي من المعارضين له فيفصح عنه المؤرّخون[٣]، أنّه عليه السلام ذهب إلى البيت الذي كانت تسكن فيه أمّ المؤمنين، فوجد النساء يبكين على عبد اللّه وعثمان- ابني خلف - مع عائشة، وصفيّة ابنة الحارث مختمرة تبكي، فلمّا رأته قالت: يا عليّ، يا قاتل الأحبّة، يا مفرّق الجمع! أيتمَ اللّه بنيك منك كما أيتمت ولد عبد اللّه منه! فلم يردّ عليها شيئًا، ولم يزل على حاله حتّى دخل على عائشة، فسلّم عليها، وقعد عندها، وقال لها: جبهتنا صفيّة، أما إنّي لم أرَها منذ كانت جارية حتّى اليوم، فلمّا خرج عليّ أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام، فكفّ بغلته وقال: أما لَهَمَمْتُ -وأشار إلى الأبواب من الدار- أن أفتح هذا الباب وأقتل من فيه، ثمّ هذا فأقتل من فيه، ثمّ هذا فأقتل من فيه-وكان أناس من الجرحى قد لجؤوا إلى عائشة، فأُخبر عليّ بمكانهم عندها، فتغافل عنهم-فسكتت.

فخرج عليٌّ فقال رجل من الأزد: واللّه، لا تفلتنا هذه المرأة! فغضب وقال: صه! لا تهتكنّ سترًا، ولا تدخلنّ دارًا، ولا تهيجنّ امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم،

---

(١) علي وبنوه ، د. طه حسين: ٥١ .

(٢) المصدر نفسه: ٥٣ .

(٣) ينظر : تاريخ الطبري: ٤/ ٥٣٩، الكامل في التاريخ: ٢/ ٣٤٧ ، و البداية والنهاية: ٧/ ٢٤٦ .

وسفّهن أمراءكم وصلحاءكم؛ فإنّهنّ ضعاف، ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ، وإنّهنّ لمشركات، وإنّ الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب، فيعيَّر بها عقبه من بعده، فلا يبلغنّي عن أحد عَرَض لامرأة، فأُنكّل به شرار الناس .

فعادت سيرة النبيّ العطرة بشخص عليٍّ عليه السلام فهو الامتداد الطبيعيّ للرسالة السماويّة، فلم يكن راغبًا في سفك الدماء أبدًا، وإنّما غايته الأولى والأخيرة صون البلاد والعباد من الظلم، وتطبيق حكم الله تعالى على عباده .

أمّا تعامله مع السيدة عائشة فقد عمل بوصية النبيّ الأكرم له في ذلك الأمر، فقد روى أحمد بن حنبل عن ((أُبي رافع: أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال لعليّ بن أبي طالب: إنّه سيكون بينك وبين عائشة أمر، قال: أنا يا رسول اللّه؟ قال: نعم، قال: أنا؟ قال: نعم، قال: فأنا أشقاهم يا رسول اللّه؟ قال: لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمَنِها))[1] .

فنفّذ الوصيّة النبويّة، وطلب من محمد بن أبي بكر وهو أخو عائشة أن يصطحبها إلى المدينة[2]، وأنفذ معها أربعين امرأة قد ألبسهن العمائم والقلانس، وكانت تلهج بسبِّ عليٍّ، والدعاء عليه؛ لأنّه هتك حرمتها، وجعلها تسافر مع رجال أجانب!!!

فلمَّا وصلت المدينة، وعلمت أنّ المرافقين لها كُنَّ نساءً ندمت على ما فرّطت بذمّ أمير المؤمنين عليه السلام وسبّه، وقالت: جزى اللّه ابن أبي طالب خيرًا، فلقد حفظ فيَّ حرمة رسول اللّه صلى الله عليه وآله[3]، ولكن بقيت الأضغان في قلب هذه المرأة ونار الحقد على عليٍّ

---

(١) مسند ابن حنبل: ١٠/ ٣٤٣ رقم الحديث (٢٧٢٦٨) ، وينظر في: المعجم الكبير: ١/ ٣٣٢ رقم الحديث (٩٩٥) ، و فتح الباري: ١٣/ ٥٥ ، و شرح الأخبار: ١/ ٣٩٥ .

(٢) ينظر : الأخبار الطوال: ١٥٢ .

(٣) ينظر : الإمامة والسياسة: ١/ ٩٨، و مروج الذهب: ٢/ ٣٧٩ .

تستعر، فما أن سمعت بخبر قتله (صلوات الله عليه) حتى تمثّلت بقول الشاعر:

وألـقـت عـصـاهـا واسـتـقـر بهـا الـنـوى
كـمـا قـرَّ عـيـنًـا بـالإيـابِ الـمـسـافـرُ

فكأنّها تريد ((أنَّ عليًّا قد أراح بموته واستراح، وليس من شك في أنّه استراح بموته من شقاء كبير، ولكنّ الشكّ كلّ الشكّ في أنّه أراح، بل اليقين كلّ اليقين هو أنّ موت علي (رحمه الله) لم يُرِحْ أحدًا، وإنّما أورث المسلمين عناءً وخلافًا لم ينقضيا بعدُ))[1] .

هذا خلق عليٍّ، وهذا نبلُ عليٍّ، يسير في عباد الله كما أمر الله تعالى، وله في رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة، ففعل النبيِّ في فتح مكة، وفعل علي في البصرة واحد، يعامل الناس بما يمليه عليه دينه وإنسانيّته، وليوازن الناظر في الوقت نفسه إلى فعل أعداء الإسلام بذريّة النبيّ الأكرم، ولا عجب في ذلك، فكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضحُ .

٢- موقفه من معاوية

وأمّا موقفه من معاوية بن أبي سفيان فمختلف تمامًا، فما أن بويع بالخلافة حتّى عزل معاوية عن الشام، وعزل قومًا آخرين، فلم يكن هذا الرجل ليصلح أن يمثّل أمير المؤمنين عليه السلام في الحكم، إذ غاية عليٍّ عليه السلام في حكم الناس تختلف عن غاية معاوية، فعليٌّ يريد بسط العدل بين العباد، ولذلك لم يعنِ له المنصب شيئًا، ولم يبخلْ بنصحٍ عمَّن سبقوه من الخلفاء، فكانوا يستشيرونه فيصدق لهم؛ لأنّ غايته خدمة دين الله تعالى في خلقه .

أمّا معاوية ومن على شاكلته فكانوا يسعون إلى تثبيت حكمهم بأيّ شكل من

---

(١) علي وبنوه: ١٦٨ .

الأشكال، ولو على حساب هدم الكعبة المشرّفة، وفعلها ابنه يزيد والحادثة معروفة لا تحتاج إلى دليل. ولذلك فإنّ عليًّا كان ((يدبّر خلافة، وكان معاوية يدبّر ملكًا))[١]، عليٌّ يريد أن يمثّل النبيَّ خير تمثيل، وأمّا معاوية فكان يريدها دولة أمويّة يتوارثها الأبناء عن الآباء، والأدهى باسم الرسول والإسلام، فكان – بزمن الأمويين ومن تبعهم – يُقْتَل عبادُ الله باسم دين الله، فكان قتلًا مشرّعًا لهم .

فلم يكن معاوية مهتمًّا بأيّ وسيلة يتوسّل بها للوصول إلى سدّة الحكم، ولذلك فما أن استلم عليٌّ مقاليد الحكم حتّى باشر بعزله، وقد بيَّن ذلك بقوله: ((والله ما معاوية بأدهى منّي، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهيّة الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كلّ غدرة فجرة، وكلّ فجرة كفرة، ولكلّ غادر لواء يُعرف به يوم القيامة))[٢].

فقد اتّخذ معاوية من حادثة مقتل عثمان وسيلة لتأليب الناس على أمير المؤمنين عليه السلام، وللأسف الشديد صدَّق الكثير منهم هذه اللعبة من معاوية، وأدّت إلى سفك دماء أخرى بموقعة صفّين تضاف إلى الدماء التي سالت بموقعة الجمل، والواقعتان مردّهما سبب واحد وهو جهل عامّة المسلمين، ولذلك كان يتوجّع ممَّن يقتدي بمعاوية ويتركه، يقول عليه السلام : ((يا ويحهم، مع من يميلون ويدَعونني! فو الله ما أردتُهم إلّا على إقامة حقّ، ولا يريدهم غيري إلّا على باطل))[٣] .

ولذلك كان مجتهدًا في القضاء على معاوية وفكره الذي تغلغل إلى جسد الأمّة الإسلاميّة، فقد كان معاوية يسعى جاهدًا إلى إفراغ الإسلام من محتواه، وخلق مجتمع

---

(١) علي وبنوه: ١٦٥ .

(٢) نهج البلاغة: ٤٣٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٨٤.

إسلاميّ أمويّ بعيد كلّ البعد عن الإسلام المحمّديّ الأصيل، وهذا المعنى يوضّحه ما روي من محادثة جرت بين أمير المؤمنين وأحد الأمويّين الذي خاطب الإمام بقوله: ((انصرف عنّا يا بن أبي طالب، فإنّا ننشدك اللَّه في دمائنا ودمك، نخلّي بينك وبين عراقك، وتخلّي بيننا وبين شامنا، وتحقن دماء المسلمين، فقال عليّ: هيهات يا بن أُمّ ظليم! واللَّه لو علمت أنّ المداهنة تسعني في دين اللَّه لفعلت، ولكان أهون عليّ في المؤونة، ولكنّ اللَّه لم يرضَ من أهل القرآن بالإدهان والسكوت واللَّه يُعصى))[1] . فهذا النصّ يوضح لنا غاية أمير المؤمنين التي يبتغي تحقيقها، وهي أنّه ضدّ معصية الله تبارك وتعالى، والمتمثّلة بالظلم والعدوان وأكل حقوق الناس، ولذلك فلا تراه يقبل على نفسه أن يداهن على حساب دين الله ولو كلّفه ذلك المعاناة التي كان يقاسيها، وأخيرًا حياته التي قدّمها في سبيل رفعة الإسلام المحمّديّ الأصيل .

ولكن كيف تعامل عليٌّ مع الجيش الأمويّ في موقعة صفّين، أذكر في هذا المضمون روايتين تبيّنانِ الخلق العلويّ الذي كان ينضحُ كرامة ومروءة وإنسانيّة، ذلك الخلق الذي يعكس صورة الإسلام الربّانيّ الذي أراد الله تعالى أن يترقّى الناس باتّباعه، غير أنّ أكثرهم أخلدوا إلى الأرض ودونيّتها .

فممّا رويَ أنّ معاوية في حرب صفين، قد نزل عند الفرات قريبًا من صفّين أوّلًا، ومن ثَمّ وصل الجيشُ العلويُّ، فأرسل أمير المؤمنين عليه السلام : ((صعصعة بن صوحان، فقال: ائت معاوية فقل: إنّا سرنا مسيرنا هذا، وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، وإنّك قد قدمت بخيلك، فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكفّ حتّى ندعوك ونحتجّ عليك، وهذه أخرى قد فعلتموها، حتّى حلتم بين الناس وبين الماء، فخلّ بينهم وبينه حتّى ننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدّمنا له

(١) حلية الأولياء: ١/ ٨٥، وينظر : أسد الغابة: ٢/ ٩٢ ، و الاستيعاب: ١/ ٤٥٧ .

وقدّمتم، وإنْ كان أحبّ إليك أن ندع ما جئنا له وندع الناس يقتتلون على الماء حتّى يكون الغالب هو الشارب فعلنا. فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ قال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعوه ابن عفّان: حصروه أربعين يومًا يمنعونه برد الماء ولين الطعام، اقتلهم عطشًا قتلهم الله! قال عمرو: خلّ بين القوم وبين الماء، فإنّهم لن يعطشوا وأنت ريّان، ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم. فأعاد الوليد مقالته، وقال عبد الله ابن أبى سرح - وهو أخو عثمان من الرضاعة -: امنعهم الماء إلى الليل، فإنّهم إن لم يقدروا عليه رجعوا، وكان رجوعهم هزيمتهم. امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة. فقال صعصعة بن صوحان: إنّما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفجرة شربة الخمر، ضربك وضرب هذا الفاسق - يعنى الوليد ابن عقبة - فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه، فقال معاوية: كفّوا عن الرجل فإنّه رسول... ثمّ إن صعصعة رجع إلينا فحدّثنا بما قال معاوية وما كان منه وما ردّ عليه، فقلنا: وما ردّ عليك معاوية؟ قال: لمّا أردت الانصراف من عنده قلت: ما ترد عليّ؟ قال: سيأتيكم رأيي، قال: فو الله ما راعنا إلّا تسوية الرجال والخيل والصفوف، فأرسل إلى أبي الأعور: امنعهم الماء، فازدلفنا والله إليهم، فارتمينا واطعنا بالرماح، واضطربنا بالسيوف فطال ذلك بيننا وبينهم، فضاربناهم فصار الماء في أيدينا، فقلنا: والله لا نسقيهم، فأرسل إلينا عليّ: خذوا من الماء حاجتكم، وارجعوا إلى عسكركم، وخلّوا بينهم وبين الماء، فإنّ الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم))[1].

ومن هذا النصّ - على طوله - يتبيّن لنا أمورٌ عدّة، منها:

١. أنّ البادئ بالقتال يومئذ هو الجيش الأمويّ، فهو من جاء من الشام إلى العراق ليقاتل الإمام المفترض الطاعة، وعلى الرغم من ذلك لم يبتدئهم أمير المؤمنين

(١) وقعة صفين: ١٦١-١٦٢.

بقتال أو أذيّة، على العكس من ذلك فقد أرسل إليهم رسولًا من خُلَّص أصحابه لينصحهم وينبّههم من غفلتهم .

٢. منعُ معاوية الجيش العلويَّ من ورود الماء، بعد سيطرته على الفرات، وفي هذا الفعل يتبيّن لنا طبيعة الخلق الأمويّ المملوء حقدًا وتعطّشًا للدماء، متى ما سنحت له الفرصة، فهو لا يجد حرجًا من فعل أيِّ شيءٍ للقضاء على خصومه من دون مراعاة لحرمة أو عرف أو تقليد .

٣. أنّ الأمويّين جعلوا من قميص عثمان حجّة ودعاية للوصول إلى سدّة الحكم، بعد أن اتّهموا أمير المؤمنين عليه السلام بقتل الخليفة الثالث، فهم يمنعون الماء عن الجيش العلويّ ليموت عطشًا، كما منع عثمان الماء، وهذه الصور تبيّن لنا بُعْد المسافة بين الفكر الأمويّ، وبين الشريعة السمحاء والخلق المحمديّ الأصيل .

٤. وأمّا موقف أمير المؤمنين عليه السلام من هذا الفعل، فكان على شقّين، الأوّل: أراد عليه السلام أن يبيّن للعدوّ قوّة الجيش الإسلاميّ وقدرته على البطش بالعدو من جانب، وحماية نفس من جانب آخر، والشقّ الآخر: بيان عطف الإسلام ورحمته حتّى مع العدو، فلا يعاملهم بأخلاقهم، وإنّما تعامل معهم عليه السلام بما أمر به الشارع المقدّس، ولذلك بمجرد أن سيطر على الفرات، أمر أصحابه أن يأخذوا حاجتهم من الماء، ويتركوا الأمويّين والماء، وهذا قمّة النبل والخلق الإلهيّ .

٥. وهناك نكتة لطيفة بقول أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه بعد سيطرتهم على الفرات: (فإنّ الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم)، فيه بيان علّة نصر الله تعالى للجيش العلويّ، هو بسبب بغي العدو وظلمهم، فلا تغترّوا وتكونوا سواءً في الظلم؛ لأنّ جماعة من جيشه رأوا أن يمنعوا الشاميّين من الماء، كما صنعوا معهم ، فإنّ الإمام ينبّههم إلى أنّ انتصارهم لهم لم يكن بفضل منهم، وإنّما لأنّ العدوان كانوا ظالمين ومعتدين،

فنصركم لذلك.

وأمّا الرواية الأخرى: ما روي أنَّ عمرًا بن العاص قد حمل مُعَلِّمًا، وهو يقول:

شـــــدّوا عـــلى شـكـتـي لا تـنـكـشـف
بـعـد طـلـيـح والـــزبـــير فـأتـلـــف

يـــوم لهـــمـــدان ويـــوم لـلـصـــدف
وفي تـمـيـم نـخـوة لا تـنـــحـرف

فاعترضه أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو يقول:

قـــد عـلـمـت ذات الـــقـــرون الميـل
والـــخـــصر والأنـــامـــل الـطـفـول

أني بـنـصـل الـسـيـف خـنـشـلـيـل
أحمـــي وأرمـــــي أوّل الـرعـيـل

بـــصـــارم لـــيـــس بـــذي فـلـول

ثمّ طعنه فصرعه واتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف عليٌّ عليه السلام وجهه عنه، فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين، فأجابهم: وهل تدرون من هو؟ قالوا: لا، قال: فإنّه عمرو بن العاص تلقّاني بعورته فصرفت وجهي عنه.

ورجع عمرو إلى معاوية فقال له: ما صنعت يا عمرو؟ قال: لقيني على فصرعني، قال: أحمد الله وعورتك، أمَا والله أن لو عرفته ما أقحمت عليه.

وقال معاوية في ذلك :

ألا لله مـــن هـــفـــوات عـمـــرو
يـعـاتـبـنـي عـــلى تـركـــي بـــرازي

فـقـد لاقـى أبـا حسـن عـليـًا
فـآب الـوائـلي مـآب خـازي

فـلـو لم يـبـد عـورتـه لـلاقـى
بـه لـيـثًـا يـذلِّـلُ كـلَّ نـازي

لـه كـف كـأنَّ بـراحـتـيـهـا
مـنـايـا الـقـوم يخـطـف خـطـف بـازي[1]

فانظر أيّها القارئ مدى حبِّ هؤلاء للحياة، وغايتهم البقاء على قيد الحياة بأيّ ثمن كان، ولو كان على حساب كرامتهم وإنسانيّتهم، بالوقت نفسه تعرف الهيبة العلويّة ووقار هذه الشخصيّة المقدّسة، وهذه الأفعال ليست غريبة على الإمام عليه السلام، فقد روى الطبريّ بتاريخه بموقعة أحد أنّه ((خرج طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين وقال: يا معشر أصحاب محمّد إنّكم تزعمون أنّ الله يعجّلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنّة، فهل أحدٌ منكم يعجّله سيفي إلى الجنّة أو يعجّلني سيفه إلى النار؟ فبرز إليه عليّ بن أبي طالب، فضربه عليّ فقطع رجله، فسقط وانكشفت عورته، فناشده الله والرحم فتركه، فكبَّر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لعلي: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: إنّه ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه))[2] ، فهذه السيرة العلويّة الطاهرة في السرّاء والضرّاء واحدة لا تتغيّر، يتخلّق بأخلاق الإسلام ويتّخذها برنامجًا لحياته المباركة، كيف لا وهو ربيب سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله الذي خلّقه بخلقه وربّاه تلك التربية التي أنتجت فتى الإسلام الخالد.

---

(١) تنظر هذه القصة في: وقعة صفين: ٤٠٧ ، ومروج الذهب: ١ / ٣٢٨ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٦٣ .

٣- معاملته لعبد الرحمن بن ملجم :

من مناقب أمير المؤمنين هذا الرجل المتفرّد بصفات لا تجدها إلّا بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كيفيّة تعامله مع قاتله قبل أن يُقدِمَ هذا الشقي على جريمته الكبرى وبعدها، فكان عليه السلام يعرف أنّ هذا الرجل قاتله – كما تُشير إلى ذلك جملة من الروايات – وعلى الرغم من علمه هذا كان ينصحه ويعتني به كبقيّة المسلمين، فممّا ورد من ذلك:

ما رواه اليعقوبيّ بقوله: ((وضربه - ابن ملجم - على رأسه، فسقط وصاح: خذوه، فابتدره الناس، فجعل لا يقرب منه أحد إلّا نفحه بسيفه، فبادر إليه قثم بن العبّاس، فاحتمله وضرب به الأرض، فصاح: يا عليّ، نحّ عنّي كلبك، وأتى به إلى عليٍّ، فقال: ابن ملجم؟ قال: نعم، فقال: يا حسن شأنك بخصمك، فأشبع بطنه، واشدد وثاقه، فإن متّ فألحقه بي أخاصمه عند ربّي، وإن عشتُ فعفو أو قصاص))[1].

والذي يُستفاد من هذه الرواية أنّ الإمام عليه السلام كان يعرف قاتله، ولذلك سأله: ابن ملجم؟ فأجابه الشقي: نعم، وعلى الرغم من معرفته به لم يتّخذ به أيّ إجراء أو يعاقبه أو يسجنه، وإنّما كان ابن ملجم حرًّا طليقًا له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، فالناس أحرارٌ في دنياهم ما لم يعتدوا على الآخرين، ولذلك لمَّا فعل ابن ملجم جريمته الكبرى، أمر الإمام ابنه الحسن عليهما السلام بسجنه، ومعاملته بالحسنى والحكم عليه بما أمرت به الشريعة المقدّسة، وهذا الفعل قمّة التسليم للإرادة الإلهيّة المتمثّلة بقوله تعالى: ﴿وسلِّموا تسليما﴾[الأحزاب: ٥٦] .

وفي تعامله مع ابن ملجم صورتان، إحداهما بوصيّته الخاصّة للإمامين الحسنين عليهما السلام بقوله: ((احبسوا هذا الأسير وأطعموه واسقوه وأحسِنوا أساره، فإن

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢١٢.

عشتُ فأنا أولى بما صُنع بي؛ إن شئت استقدتُ وإن شئت عفوت وإن شئت صالحت، وإن مُتّ فذلك إليكم، فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثّلوا به))[1] .

وتُفصِح هذه الرواية عن الترجمة الفعليّة للقرآن الكريم التي مثَّلها أمير المؤمنين عليه السلام في تعامله مع قاتله، فقد سمَّاه (أسير) على الرغم من أنّه مجرم وشقيّ ولا تنطبق عليه ملامح الأسير، إلّا أنّ الإمام عليه السلام عامله كمعاملة أسير الحرب، من حيث حسن معاملته وتقديم المأكل والمشرب له، أمّا عن الحكم بحقّه فله وجهان، فإن عاش الإمام عليه السلام فهو وليُّ دمه وحقّه، إن شاء اقتص منه وإن شاء عفا، بل وذهب بجوده وكرمه إلى أبعد من العفو، هو أن يصالحه وهو – لعمري – قمّة الإيثار ونكران الذات، وإن مات عليه السلام بسبب تلك الضربة وليس بعلّة غيرها فلولي دم الإمام بعده الحكم في ما يرى، إمّا القصاص وإمّا العفو، وإن رأى وليّ الدم بعده بأن يقيم القصاص بحقّ ذلك الشقي، فضربة بضربة، ولا يمثّلوا به؛ لأنّ المثلة حرام .

وأوصى بني عبد المطّلب بوصيّته الأخيرة بقوله: ((يا بني عبد المطّلب لا ألفينَّكم تخوضون دماء المسلمين خوضًا، تقولون: (قُتِل أمير المؤمنين)، ألا لا تقتلُنَّ بي إلّا قاتلي، انظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثّلوا بالرجل، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إيّاكم والمُثلَة، ولو بالكلب العقور))[2] .

وفي هذه المقطع من وصيّته المباركة أمور لا بدّ من تبيانها، لتنبيه الغافل والمتغافل عن السيرة العطرة لفتى الإسلام الأوحد، وترجمان القرآن وعدله أمير المؤمنين عليه السلام ، فمن هذه الأمور، أنّه نهى بني عبد المطّلب بقوله: (لا ألفينَّكم) فقد

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب: ٣/ ٣١٢ ، وينظر : روضة الواعظين: ١٥٣، و السنن الكبرى: ٨/ ٣١٧.
(٢) نهج البلاغة: ٥٨٣ .

استعمل (لا) النافية وضَّمنها معنى النهي، وجاء بالفعل المضارع المؤكّد بنون التوكيد الثقيلة، لتنبيه القوم عن عظم الأمر المنهيِّ عنه، فقد نبّههم مرّتين، مرّة بالنداء وأخرى بهذا الطلب، فلمَّا تنبّهوا وتوجّهوا بقلوبهم قبل أبدانهم لسماع وصيّة الإمام عليه السلام جاء بالفعل (تخوضون دماء المسلمين)، وفي هذا التركيب ردعٌ لبني عبد المطّلب أن يقتلوا الناس بحجّة الاقتصاص لقتل الإمام عليه السلام ، فمن دلالات الخوض: ((الاشتغال بالباطل قولًا أو فعلًا و الغور فيه))[١]، ومنه: ((خاضوا في الحديث، وتخاوضوا فيه، وهو يخوض مع الخائضين، أي: يبطل مع المبطلين ﴿الذينَ هم في خَوْضٍ يَلعبونَ﴾[الطور:١٢]))[٢] .

فدلالات (الخوض) القرآنيّة تُشير إلى الباطل في أكثر المواضع، ولذلك استعملها أمير المؤمنين عليه السلام لكي ينبِّه عشيرته ألَّا يقعوا في فخّ الباطل عن طريق الثأر له، ولعلّ فيه إشارة إلى حادثة مقتل الخليفة الثاني وفعل ابنه عبيد الله بن عمر الذي قتل مجموعة من الناس لا سهم لهم بقتل أبيه[٣] .

ثمّ استعمل أداة أخرى لتنبيههم مرّة ثالثة وهي (ألا) أداة الاستفتاح، وهي ((مركّبة من همزة الاستفهام وحرف النفي، لإعطاء معنى التنبيه على تحقّق ما بعدها))[٤]، فإذا تحصَّل الانتباه جاء بالأمر الذي يريد أن ينهاهم عنه وهو قتل غير القاتل، فإذا هو عليه السلام قد مات بسبب ضربة الشقيّ لا بغيرها فاضربوه ضربةً واحدةً؛ لأنّه (لعنه الله) قد ضرب أمير المؤمنين عليه السلام ضربة واحدة، ونهاهم أن يمثّلوا بجثّة الرجل؛ لأنّه أمر محرَّم في الشريعة المقدّسة .

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٢٠ / ٥٣

(٢) أساس البلاغة: ١/ ١٢٥ .

(٣) ينظر: الفتنة الكبرى: ٦٥ .

(٤) الكشاف: ١/ ٦١ .

والناظر بهذا النصّ المبارك تتجسّد لديه عظمة أمير المؤمنين وعدله وذوبانه في دين الله العظيم، فختم حياته الكريمة واعظًا وداعيًا لتطبيق أحكام الشريعة بهذا الأسلوب البليغ الذي بلغ ((قمّة الجمال في المواقف الخطابيّة، أي في المواقف التي تثور بها عاطفته الجيّاشة، ويتّقد خياله فتعتلج فيه صورٌ حارة من أحداث الحياة التي تمرّس بها، فإذا بالبلاغة تزخر في قلبه وتتدفّق على لسانه تدفُّق البحار، ويتميّز أسلوبه في مثل هذه المواقف بالتكرار بغية التقرير والتأثير))[1] .

(١) روائع نهج البلاغة ، جورج جرداق: ٣٠ .

نتائج البحث :

بعد هذه الرحلة في خطب أمير الكلام عليه السلام ، التي جعلتني أعيش أيّامه المباركة، التي ما أراد شيئا من دنياه إلّا خدمة الشريعة السمحاء، توصّلتُ إلى نتائج عدّة، أختصرها بما يأتي:

١- بيَّن البحث بعضًا من مواقف الإمام عليه السلام من الآخر بحسب المنظور الإسلاميّ، فكان تعامله معهم ينضح نبلًا وكرمًا، بما تقتضيه الشريعة، فلم يفرِّق بين أبناء الوطن في حكومته على أساس الدين أو العرق، وإنّما تعامل معهم على أنّهم بشرٌ، لهم حقوق وعليهم واجبات. زد على ذلك أنّه طلب من أهل الذمّة أن يشتركوا في عمارة البلاد، وما ذلك إلّا لأنّهم أبناء تلك الأرض .

٢- حاول البحث تسليط الضوء على موقف الإمام عليه السلام من السيدة عائشة، فقد عاملها بما يناسب مكانتها كزوج للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ولذلك ما إن وضعت حرب الجمل أوزارها حتّى حملها إلى المدينة المنورة تتوسّط جملة من النساء، صونًا لعرض النبيّ الأكرم .

٣- موقفه عليه السلام الإنساني حتّى مع أعدائه في حرب صفين، فعلى الرغم من منع الأمويّين الماء عن الجيش العلويّ، إلّا أنّه استولى على الفرات، وأمر جيشه بالسماح للعدوّ أن يستفيد من الماء .

٤- وبرَّز البحثُ تعامله عليه السلام مع قاتله أشقى الآخرين ابن ملجم، وكيف أنّه طيَّب مأكله ومنامه وسمّاه أسيرًا، وأمر بنيه أن يحاكموه طبقًا للشريعة الإسلاميّة التي تنصّ على العفو أو القصاص .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الأنام محمّد بن عبد الله وآله الأطيبين الأطهرين .

مصادر البحث ومراجعه :

*القرآن الكريم.

١ .الأخبار الطوال : الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داوود) ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٣٣٠هـ .

٢ .أساس البلاغة : الزمخشري (جار الله محمود بن عمر بن أحمد ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م .

٣ .الاستيعاب في معرفة الأصحاب : بن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م .

٤ .أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠ ه) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٢م .

٥ .أمالي الصدوق : الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي ت ٣٨١ه) ، قدم له الشيخ حسين الأعلمي ، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، لبنان ، (د. ت) .

٦ .الإمامة والسياسة : ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ت ٢٧٦ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

٧ .البداية والنهاية : ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي) مكتبة المعارف، بيروت ، ١٩٩٠م .

٨ .بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : المجلسي (محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي ت ١١١٠ هـ) مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

٩ .بشارة المصطفى لشيعة المرتضى : الطبري (محمد بن ابي القاسم من أعلام

القرن السادس الهجري) ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٦٩هـ .

١٠ .بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : التستري (محمد تقي بن كاظم ت ١٤١٥هـ) ، منشورات مكتبة الصدر ، طهران ، (د . ت) .

١١ .تاج العروس من جواهر القاموس : الزَّبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني ت ١٢٠٥ هـ) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٥م .

١٢ .تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) : الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٢٩هـ .

١٣ .تاريخ اليعقوبي : اليعقوبي (احمد بن اسحاق بن جعفر البغدادي ت ٢٩٢ هـ)، تحقيق خليل المنصور ، دار الزهراء ، ايران ، قم ، ١٤٣٩هـ .

١٤ .التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد : ابن عاشور (محمد الطاهر ت ١٩٧٣م) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ط١ ، ١٩٨٤م .

١٥ . التعددية والحوار في الإسلام (بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب): حسن الصفار ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت ، ط٤ ، ٢٠١٠ م.

١٦ .جامع الأخبار ، الشيخ الصدوق ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، (د.ت) .

١٧ .حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : الأصفهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله ت ٤٣٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م .

١٨ .الخصال : الشيخ الصدوق ، صححه وعلق عليه على أكبر الغفارى ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم المقدسة ١٤٠٣هـ .

١٩.روائع نهج البلاغة : جورج جرداق ، مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي ، قم المقدسة ، ط٣ ، ٢٠٠٥ م .

٢٠.روضة الواعظين : الفتال النيسابوري ، تقديم محمد مهدي الخرسان ، منشورات الرضي ، قم ، (د . ت) .

٢١.سفينة البحار: عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ) ، تحقيق مجمع البحوث الإسلامي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة ، ط٣ ، ١٤٣٠هـ .

٢٢.السنن الكبرى: البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ت٤٥٨هـ) ، مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، الهند ، ط١ ، ١٣٤٤ هـ .

٢٣.شرح أصول الكافي : المازندراني (محمد صالح ت ١٠٨١هـ) ، ضبط وتصحيح علي عاشور ، دار التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠م .

٢٤.شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير) : ابن عصفور الاشبيلي (ت ٦٦٩ هـ)، تحقيق د. أنس بديوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط١ ، ٢٠٠٣م .

٢٥.شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد المعتزلي (عز الدين عبد الحميد بن محمد ت ٦٥٦هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مؤسسة إسماعيليان ، طبعة قم ، (د .ت).

٢٦.علي وبنوه: د. طه حسين ، دار المعارف ، مصر ، ط ٦ ، ١٩٦٦ م .

٢٧.فتح الباري بشرح صحيح البخاري : الحافظ ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني) ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، مصر ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ.

٢٨.الفتنة الكبرى : د. طه حسين ، دار المعارف ، مصر ، ط ٦ ، ١٩٦٦ م .

٢٩.الكامل في التاريخ : ابن الأثير (علي بن محمد الشيباني الجزري) تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ١٤٠٧هـ .

٣٠.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٤٧م .

٣١.مجمع البحرين ومطلع النيرين : فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٧هـ) ، تحقيق السيد أحمد الحسيني ، نشر مكتبة النشر الثقافية الإسلامية ، طهران ، ١٤٠٨هـ.

٣٢.مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦ هـ) ، تحقيق د. يوسف البقاعي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٣م .

٣٣.مسند الإمام أحمد : أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٥م .

٣٤.المعجم الكبير : الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب ت٣٦٠هـ) ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط ٢، ١٩٨٣م.

٣٥.من لا يحضره الفقيه : الشيخ الصدوق ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٦م.

٣٦.منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : الخوئي (حبيب الله بن السيد محمد الموسوي ت١٣٢٤هـ) ، تصحيح إبراهيم الميانجي ، منشورات المكتبة الإسلامية طهران ، ط ٤ ، (د . ت)

٣٧.نهج البلاغة : جمع الشريف الرضي ، تحقيق الدكتور صبحي الصالح ، دار الاسرة للطباعة والنشر ، طهران ، ط٦ ، ١٤٢٩هـ .

٣٨.وسائل الشيعة : الحر العاملي (محمد بن الحسن ت ١١٠٤هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

٣٩.وقعة صفين : المنقري (نصر بن حازم ت ٢١٢هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٢هـ .

٤٠.مناقب آل أبي طالب : ابن شهرآشوب (محمد بن علي ت ١١٩٢هـ) ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٩٥٦م .

٤١.الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي(ت ١٤٠٢ هـ) ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .